

## المحاضر 05

### دور الدين في قيام الحضارة العربية الإسلامية

إذا كان الدين في مفهومه العام هو مجموعة العقائد والمبادئ التي تدين بها أو تؤمن بها أمة من الأمم إعتقاداً وعملاً، فإن علماء الحضارة والتاريخ يتفقون على أنه لم تكن هناك حضارة على وجه الأرض قديمة أو حديثة تخلو من المعابد والمساجد وأماكن العبادة، حيث يجتمع فيها الناس ويمارسون الشعائر والطقوس الدينية، وثبتت أهمية الدين في الحضارات القديمة في التراث الفكري من خلال النقوش والمخطوطات المكتشفة. كما تبرز أهمية الدين في كونه العامل الوحيد المهم الذي حرك الإنسان وقدم له تفسيراً متكاملًا للكون، وتعتبر الأديان الكبرى سبب في خروج الإنسان من العزلة إلى العالمية، وفي هذا الإطار يرى مالك بن نبي بأن الديانات ساعدت على انتقال الإنسان من مجتمع قبلي إلى أكبر تؤمن بدين واحد ثم خلق وحدات سياسية واجتماعية أكبر.

في الحضارات القديمة كانت الأخلاق والقوانين مرتبطة تمام الارتباط بالدين، وهو مصدر المبادئ التي تضبط العلاقات مع الطبيعة والتنظيم والحياة الأخلاقية، كما يؤكد العديد من الدارسين أن معظم الديانات كانت هي الأسس التي قامت واستندت عليها الحضارات العظيمة في قيامها، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية والحضارة الكونفوشيوسية والحضارة البوذية، وفي إطار ذلك أكد ابن خلدون بأن العرب لن يحصل لهم ملك إلا بالصبغة الدينية، فللدين أثر عظيم على المجتمع وهو ضروري لسياسة المجتمعات، أما المفكر توينبي فيعتبر الدين منشئاً للحضارة، ومنه فإن الصراع أو الحوار بين الأديان ينتهي إلى صراع أو حوار بين الحضارات.

ومنه فإن البحث عن قيام أي حضارة يجب أن يعتمد على البحث في المنظومة الدينية للمجتمع، حتى وإن كان يدعي المجتمع بظاهرة العلمانية أو الفصل بين الأمور الدينية والدينيوية أو بين العبادة والحضارة، فيبقى الدين موجود في الشعور الجماعي بوجه سلوك الأفراد.

أما الحضارة العربية الإسلامية فهي بامتياز حضارة دينية تجمع بين الروح والأخلاق والمادة، وتجسدت قيمة الدين الإسلامي في الحضارة الإسلامية في العديد من المظاهر والمؤسسات أهمها:

**01/ الخلافة:** الخلافة في الإسلام هي بمثابة المؤسسة الدينية والسياسية، والخليفة أو القائم بالخلافة ينوب عن الرسول صل الله عليه وسلم في الحفاظ على الشريعة الإسلامية وقيادة الدولة الإسلامية وإدارة شؤونها المختلفة، وترك الرسول صل الله عليه وسلم أمر تعيين الخليفة الى الشورى بين المسلمين عن طريق البيعة، فلم يعين خليفة قبل وفاته رغم علمه بدنو أجله، وقد ابتكر المسلمون بعد وفاة الرسول نظام الشورى لتعيين الخليفة والإمام عليهم ، والذي يعتبر رئيس السلطة السياسية والدينية في الدولة الإسلامية وقد حدد أبو بكر الصديق نظام الخلافة في العديد من القواعد مثل: -الحكم بكتاب الله - الحفاظ على وحدة المسلمين - رقابة الأمة على سياسة الخليفة (فأطيعوني ما أطعت الله) - العدل والمساواة -التمسك بأركان الإسلام ....

وقد طلب عمر بن الخطاب قبل وفاته من الصحابة الستة (علي، عثمان، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمان بن عوف، طلحة بن عبد الله، الزبير بن العوام)، بأن يجتمعوا ويختاروا (يبايعوا) خليفة لهم في مدة ثلاثة أيام. وكان للخليفة واجبات رئيسية سواء في عهد الخلفاء أو في العهدين الأموي والعباسي وأهمها:

- حفظ الدين على أصوله وما أجمع عليه سلف الأمة.
- حماية طرق المواصلات وتأمينها من قطاع الطرق.
- تطبيق الحدود الشرعية بكل نزاهة والحفاظ على العدل والمساواة في تنفيذها.
- تحصين الدولة الإسلامية وسيادتها من الاعتداءات الخارجية.
- قيادة الجهاد ضد أعداء المسلمين بصفته القائد العام لقوات المسلمين.
- الإشراف على جباية الأموال المستحقة لخزينة بيت مال المسلمين (الزكاة).
- توزيع اموال بيت مال المسلمين على مستحقيها دون وجاهة.
- تعيين مساعديه من أهل الثقة والعلم والأخلاق للإخلاص في إدارة شؤون الدولة.
- الإشراف العام والمباشر على تسيير أمور الدولة والرعاية بها دون الانشغال بغيرها.

**02/ القضاء:** كان الرسول صل الله عليه وسلم القاضي الأول والامام في الدولة الاسلامية، وكان المسجد النبوي هو مكان التقاضي وفض الخصومات، حيث يحضر المدعي والمدعى عليه والشهود ليحكم الرسول صل الله عليه وسلم في المنازعات التي تحدث بينهم، وقد تعلم الصحابة منهج القضاء منه على أساس تحكيم كتاب الله وسنته أو الاجتهاد في حالة غياب النص، فقد تولى معاذ بن جبل أمور القضاء في اليمن، وفي عهد عمر بن الخطاب وضع نظام محكم على نفس النهج بعد تزايد عدد المدن الاسلامية وضرورة ادارة شؤون القضاء فيها، فقام عمر بن الخطاب بتعيين القضاة على المدن الاسلامية ووضعت لهم النظم والقواعد التي يجب اتباعها. وفي العصر الأمور تطور نظام القضاء وأصبح القاضي يعين من طرف الخليفة مباشرة واختصوا بالقضاء المدني أما القضاء الجزائي فقد سلم جزء منه للشرطة . أما في العصر العباسي فقد ساهم ظهور المذاهب الفقهية في تطور القضاء بشكل واضح، فكان القضاة في أحكامهم متحررين من السلطة التنفيذية، وظهر في هذا العصر منصب قاضي القضاة (مثل وزير العدل) يقوم بتنظيم شؤون سلك القضاء، ويقوم بمتابعة نشاط القضاة ونزاهتهم.

**03/ الحسبة:** ظهر في الدولة الإسلامية نظام الحسبة، والذي يقوم على بمهمة إزالة المنكر إذا ظهر فعله، والأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ومنه فهو يمثل نظام رقابي يتكامل مع دور جهاز القضاء والشرطة من أجل إحلال النظام في المجتمع وحماية النظام الاجتماعي والسياسي من الانهيار، وذلك نظرا لتطور الحياة المدنية وظهور العديد من السلوكيات التي لا يوجد فيها نص واضح، فالحاجة الى جهاز الحسبة أصبحت ضرورة ملحة في المجتمع الإسلامي، ويعتبر عمر بن الخطاب أول من وضع نظام الحسبة واستمرت في العصر الأموي، وتطورت بشكل أكبر في العصر العباسي فقد وضع الخلفاء العباسيون الشريعة الإسلامية أساس الحكم وقاموا بمواجهة كل حركات الزندقة والمتأثرين بها والناشرين للإلحاد والفساد، وصارت وظيفة الحسبة في القرن 4 هجري من الوظائف الثابتة والوظيفة الأركان في جميع المدن الإسلامية، وكان المحتسب يختار من بين علماء الدين والملمين بأحكام الشريعة وذوي الثقة والأمانة.